

# تكلفة العنصرية على الجميع

معالجة عنصرية النظام واجب أخلاقي، ومن شأنها  
أيضاً تعزيز قوة الاقتصاد  
جوزيف لوسافيو

فلويد، وبريونا تيلور، وأحمد أربيري. ثلاثة أمريكيين سود قُتلوا في أعمال  
ذُكرت العالم بأن عنصرية النظام لا تزال حقيقة جلية في الولايات المتحدة.  
وكانت الاحتجاجات التي أعقبت ذلك في مطلع فصل الصيف، رغم أنها  
اشتعلت بسبب موت هؤلاء الثلاثة، تعبيراً عن غضب ويأس أعمق بسبب  
العنصرية التي ابتلي بها هذا البلد منذ تأسيسه.

## جورج

ومع انتشار الاحتجاجات في أنحاء العالم، بدأ كثيرون يحولون التركيز من التضامن مع الأمريكيين  
السود إلى الظلم العنصري داخل بلدانهم. أداما تراوريه، وجواو بيدرو ماتوس بينتو، وديفيد دانغي  
جونور، أسماء مختلفة من بلدان مختلفة، لكنهم مع ذلك ضحايا لقوا حتفهم فاضطر العالم إلى النظر  
مجدداً في وجود عنصرية النظام على مستوى العالم، وانطلقت المظاهرات في الشوارع تطالب بتحسين  
الأوضاع.

والمطالبة بإنهاء العنصرية ومعالجة المتوارث منها ليس بالأمر الصائب من المنظور الأخلاقي  
وحسب وإنما هو أيضاً يعطي دفعة للتنمية الاقتصادية. فمواصلة إنكار وجود العنصرية، ورفض  
مواجهتها، سيؤديان إلى عالم أقل حيوية، وأقل تلاحماً، وأقل رخاءً.

## مولد أمة

منذ استقلالها والولايات المتحدة أمة متعددة الأعراق، كافحت للتغلب على ما أشار إليه كثيرون بأنه  
«الخطيئة الأصلية» — وهي الرق — وما أعقب القضاء عليه من التمييز العنصري بحكم القانون  
وحكم الواقع. ولا تزال عنصرية النظام تثقل كاهل الولايات المتحدة، وكان الأمريكيون السود هم من  
تحمل العبء الأكبر من هذا الإرث.

والعنصرية مشكلة متأصلة في إدارات الشرطة الأمريكية المحلية. فحسب تحليل أجرته الصحيفتان  
واشنطن بوست وغارديان، فإن احتمالات تعرض الأمريكيين السود العزل للقتل على يد أفراد الشرطة  
تصل إلى ضعف ما يتعرض له البيض. وبرغم أن هذه المسألة من أكثر الأشكال المعروفة لعنصرية  
النظام، فالمشكلة أعمق من ذلك بكثير.

على سبيل المثال، تستشري العنصرية في مجال الطب — ففي عام ٢٠١٦، وجدت الأكاديمية  
الأمريكية الوطنية للعلوم أن ٢٩٪ من الطلاب الأمريكيين البيض في السنة الأولى من دراسة الطب كانوا



STOP RACISM  
4/10/20

ART IS NOT A CRIME



موجهة بشكل أكبر بكثير نحو الأقليات العرقية مقارنة بالفرنسيين البيض. فاحتمالات التحقق من هوية الشباب الذين يبدو من مظهرهم أنهم من أصول سوداء أو عربية أعلى بمقدار عشرين مرة. وتشير التقارير إلى أن ٢٠٪ من السكان الفرنسيين الشباب السود أو العرب وقعوا ضحايا للأعمال الوحشية في تفاعلاتهم مع الشرطة مؤخرا — وهي نسبة أعلى بكثير من نسبة نظرائهم البيض وهي ٨٪. وبرغم ذلك، فعلى غرار الوضع في الولايات المتحدة، تمتد عنصرية النظام هذه لتتجاوز معاملة الشرطة. ففي بلد يرى وجود علاقة قوية على الأغلب بين الدين والعرق، تقل فرص استدعاء الرجال لمقابلات التوظيف عندما يظن أصحاب العمل أنهم مسلمون بما يصل إلى أربعة أضعاف مقارنة بالمرشحين الذين يظنون أنهم مسيحيون، وذلك وفق ما جاء في دراسة مستودع الفكر Institut Montaigne (دراسة 2015 Valfort). وتوصلت دراسة أجرتها جامعة باريس في شرق كريتيل عام ٢٠١٨ إلى أن المتقدمين لوظائف من أصحاب الأسماء التي تبدو عربية يتلقون ردودا أقل بنسبة ٢٥٪ من أصحاب الأسماء التي تبدو فرنسية.

## أهي ديمقراطية عرقية — أو عنصرية؟

رؤى البرازيل بشأن العنصرية متأصلة كذلك في تكوين الصورة الذاتية الوطنية. فيرى كثيرون أن بلادهم «ديمقراطية عرقية» — وتنشأ نظرتهم من الاعتقاد بأن البرازيل تحولت مباشرة من القضاء على الرق عام ١٨٨٨ (كانت آخر بلدان نصف الكرة الغربي في اتخاذ هذه الخطوة) إلى ديمقراطية تشاركية متعددة الأعراق، تتجنب التمييز المنصوص عليه في قوانين بلدان مثل الولايات المتحدة وجنوب إفريقيا. ويظن كثير من البرازيليين أنه لا وجود للعنصرية والتمييز في البرازيل — وفي النهاية، فالبرازيل لم تمرر قط قوانين مثل قانون جيم كرو الذي أوصى بالفصل أو التمييز العنصري، فكيف يمكن أن تكون حقا عنصرية؟

ومع هذا، ففي بلد ينحدر غالبية سكانه من أصول إفريقية سواء جزئيا أو كليا، يتأخر السود في البرازيل كثيرا عن البيض في المؤشرات الرئيسية لجودة المعيشة. والبرازيليون السود أقل حظا بكثير في الإنجاز التعليمي. فعلى سبيل المثال، في عام ٢٠١٢، كانت نسبة البرازيليين الأفارقة ممن تجاوزت أعمارهم ١٦ سنة ووصلوا إلى مرحلة التعليم بعد الثانوي لا تتجاوز ١٣٪، أي أقل من البيض بما يصل إلى ١٥ نقطة (دراسة 2016 Pereira).

وقد يرجع البعض ذلك إلى الفروق الطبقية، لا إلى الأصل العرقي. ومع ذلك توصلت إحدى الدراسات إلى أنه حتى على مستوى التوائم البرازيليين الذين ينتمون لأسرة واحدة وكان أحدهما يصنف باعتباره أبيض والآخر ملونا، كان التوائم الملون أقل حظا في الإنجاز التعليمي، وخاصة إذا كان توأمه ذكرا (دراسة 2016 Marteleto and Dondero). والبرازيليون السود هم الذين يتحملون أيضا العبء الأكبر من العنف على يد أجهزة إنفاذ القانون. ففي عام ٢٠١٨، قتلت الشرطة ٦٢٢٠ شخصا في البرازيل، وبرغم

يظنون أن دم السود يتخثر بسرعة أكبر من دم البيض، وأن ٢١٪ منهم كانوا يعتقدون أن نظم مناعة أصحاب البشرة السوداء أقوى بكثير. وغالبا ما يؤدي هذا النوع من سوء الفهم إلى تقديم رعاية وقائية غير كافية وتوفير مستوى أدنى من العلاج، مما يسفر عن نتائج صحية أسوأ للسود مقارنة بأصحاب البشرة البيضاء بوجه عام. ونشرت جمعية القلب الأمريكية دراسة توصلت إلى أن الأفكار الطبية العنصرية ساهمت في جعل المرأة الأمريكية السوداء أكثر عرضة لاحتمالات الوفاة بمرض القلب بمقدار الثلث من المرأة البيضاء.

وظلت العنصرية تكبل التقدم الاقتصادي للسود على مدى عقود. وكان صدور قانون GI بعد الحرب العالمية الثانية قد أذكى نمو الطبقة المتوسطة الأمريكية، لكن السود حرّموا من المزايا التي منحها بشكل كبير أمام إصرار أعضاء الكونغرس البيض الممثلين للجنوب في محاولات مستميتة منهم لفرض الفصل العنصري على السود — سواء كانوا من أبطال الحروب أم لا. وأدى نظام «رسم الخطوط الحمراء» في ظل سياسة إدارة الإسكان الفيدرالية التي رفضت تأمين قروض عقارية في أحياء السود إلى حرمان الأمريكيين السود من واحد من أكثر الطرق الشائعة لتكوين الثروة وهي ملكية المساكن. وكان لكل هذه العوامل دور في استمرار فجوة الثروة بين السود والبيض. وكما جاء في تقرير ماكينزي عام ٢٠١٩، فإن ثروات متوسط العائلات السوداء أقل بمقدار عشرة أضعاف من متوسط ثروات العائلات البيضاء.

## الحرية والمساواة والإخاء — لمن؟

تشهد بلدان أخرى كثيرة، مثل فرنسا، عنصرية متأصلة على هذا النحو، حتى وإن كانت الأساطير الوطنية لذلك البلد تدعي أنه مجتمع حازم في عدم التمييز على أساس لون البشرة. وترفض الحكومة إعداد إحصاءات عن العقيدة أو الإثنية أو لون البشرة في تعدادها السكاني. وتحجب هذه الأفاق الشمولية وراءها عنصرية العصر الحديث الناتجة عن الفظائع التاريخية. وكما هو الحال بالنسبة لكثير من بلدان أوروبا، غالبا ما يساء فهم دور فرنسا في استمرارية الرق الاستعماري المبني على أصل العرق في الأمريكتين، مما يؤدي إلى الاعتقاد بأن العنصرية أصبحت مشكلة في العالم الحديث وليست من العالم القديم.

وكما ذكر مابولا سوماهورو، وهو متخصص في دراسات الشتات الإفريقي في جامعة تورز، خلال مقابلة مع قناة فرنسا ٢٤، «نظرا لعدم مشروعية الرق في الأرض الأم، تكون لدى الناس انطباع بأن هذا التاريخ من التمييز العنصري المفرط الذي يتسم به العالم الحديث لا يخص سوى الأمريكتين؟. وأضاف أن «فرنسا غير خالية من التمييز العنصري. ولكن فرنسا تظن أنها تخلو من التمييز العنصري». وهذا الرفض لرؤية الأصول العرقية، والسياسة الرسمية المشتقة منها، لا يؤهلان البلاد لمعالجة عنصرية النظام.

فحالات القتل التي تقترفها الشرطة في فرنسا قد تكون أقل من الولايات المتحدة، لكن أعمال العنف والتمييز



# المجتمع الأقل عنصرية يمكن أن يصبح أقوى اقتصاديا.

أفاد ٧٨٪ من المجيبين عليه أن سلطات الولايات المتحدة ظلت تحجم عن معالجة العنصرية. وأجاب ٣٠٪ فقط بأنهم يعتقدون بوجود عنصرية مؤسسية بين أفراد قوات الشرطة الأسترالية. ويتعارض. هذا الرأي مع كل من التجربة التي يعيشها السكان الأستراليون الأصليون بصفة خاصة ومع ما يعتقد معهد ألفريد ديكين من أن العنصرية كلفت أستراليا ٤٤,٩ مليار دولار في الفترة بين عامي ٢٠٠١ و٢٠١١.

وفي نفس الوقت، فالأحداث العنصرية المختلفة في الصين ضد المهاجرين الأفارقة تهدد علاقات التجارة والاستثمار الصينية-الإفريقية المربحة. ويذكر ياكوب وانغ، وهو باحث في مؤسسة «هيومن رايتس ووتش»، أن هذه حالة أخرى من حالات إنكار ممارسة التمييز العنصري، «فبينما السلطات الصينية تدعي «عدم التسامح إطلاقاً» مع التمييز العنصري، فما تفعله حيال الأفارقة في مدينة غوانزهو ما هو إلا التمييز بعينه».

وينبغي ألا تسعى البلدان لمعالجة مشكلة العنصرية بدافع أن ذلك ببساطة سيساعدها على التنمية الاقتصادية. بل إنها مدينة بذلك لمواطنيها. ومع هذا، ينبغي أن يفهم العالم أن الالتزام باحترام حقوق الإنسان والعدالة بين عناصره المختلفة ينبغي ألا يكون مجرد عبارة جوفاء عن القيم. إنما ينبغي أن يكون دعوة للتحرك، تدعمها إجراءات فعالة للإقرار بعنصرية النظم وفهمها وقياسها والقضاء عليها. إن العالم يقف اليوم عند نقطة تحول، والأمر كله بيد صناعات السياسات لإيجاد السبل وإحداث تغيير. وما لم يحدث ذلك، ستظل العنصرية تلقي بأعبائها الثقيلة علينا جميعاً. **FD**

**جوزيف لوسافيو** اختصاصي خدمات المدن والبنية التحتية والمناطق الحضرية في المنتدى الاقتصادي العالمي.

## المراجع:

- Bon-Maury, Gilles, Catherine Bruneau, Clément Dherbécourt, Adama Diallo, Jean Flaman, Christel Gilles, and Alain Trannoy. 2016. "The Economic Cost of Discrimination." France Stratégie report, Paris.
- Marteletto, Leticia J., and Molly Dondero. 2016. "Racial Inequality in Education in Brazil: A Twins Fixed-Effects Approach." *Demography* 53 (4): 1185–205.
- Noel, Nick, Duwain Pinder, Shelley Stewart, and Jason Wright. 2019. "The Economic Impact of Closing the Racial Wealth Gap." McKinsey and Company report, New York.
- Pereira, Claudiney. 2016. "Ethno-Racial Poverty and Income Inequality in Brazil." CEQ Institute Working Paper 60, Tulane University, New Orleans.
- Sakamoto, Leonardo. 2019. "More than 75 Percent of Those Killed by Police in 2017 and 2018 Were Black." UOL blog, Sept. 10.
- Valfort, Marie-Anne. 2015. "Religious Discrimination in Hiring: A Reality." Institut Montaigne report, Paris.

أن السود يمثلون حوالي نصف السكان على مستوى البلاد، كان ٧٥٪ من أولئك الذين قُتلوا من السود (دراسة Sakamoto 2019).

وكان لهذه العوامل النظامية عواقب اجتماعية اقتصادية واسعة الانتشار. فقد توصلت دراسة أجراها المعهد البرازيلي للجغرافيا والإحصاء في عام ٢٠١٩ إلى أن متوسط دخل العاملين البيض كان أعلى بنسبة ٧٤٪ من دخل العاملين السود والخمريين — وظلت هذه الفجوة ثابتة لسنوات. وحتى برغم حصول الرجال البرازيليين الأفارقة على نفس المستوى التعليمي، فهم لا يحققون سوى ٧٠٪ من دخل من هم في نفس مستواهم من الرجال البيض، ولا تحقق المرأة البرازيلية الإفريقية سوى ٤١٪.

## التكاليف الاقتصادية

تمثل عنصرية النظم مشكلة عالمية. إنها حقيقة، كما أن هناك جدلاً أخلاقياً قوياً يهدف إلى معالجتها. ومع ذلك، فمن العوامل التي غالباً ما يغفلها هذا الحوار الحاسم هو البعد الاقتصادي الأوسع. وعنصرية النظم تمنع الناس من تحقيق أقصى ما يمكن من إمكاناتهم الاقتصادية، وهي بالتالي تنطوي على تكاليف اقتصادية هائلة. فالمجتمع الأقل عنصرية يمكن أن يكون أقوى اقتصادياً.

وعلى سبيل المثال، من المتوقع أن تكلف الفجوة بين ثروات الأمريكيين البيض والسود اقتصاد الولايات المتحدة ما يتراوح بين تريليون دولار وواحد ونصف تريليون دولار من الخسائر في الاستهلاك والاستثمار خلال الفترة بين عامي ٢٠١٩ و٢٠٢٨. ويُترجم ذلك إلى تراجع متوقع في إجمالي الناتج المحلي من ٤٪ إلى ٦٪ في عام ٢٠٢٨ (دراسة Noel and others 2019).

أو لننظر على سبيل المثال إلى فرنسا التي يمكن أن تحقق قفزة في إجمالي الناتج المحلي تصل إلى ١,٥٪ على مدى العشرين عاماً القادمة — تضيف ٣,٦ مليار دولار إلى الاقتصاد — بتقليص الفجوات العنصرية في الحصول على فرص عمل، وفي ساعات العمل، والتعليم (دراسة Bon-Maury and others 2016). ولنشاهد الوضع في البرازيل التي تخسر مبالغ طائلة يمكن أن تتحقق من الإمكانيات الاستهلاكية والاستثمارية لمجتمعاتها المهمشة.

## بلاء عالمي

بطبيعة الحال، لا تقتصر العنصرية وآثارها الاجتماعية والاقتصادية الضارة، وكذلك الحاجة إلى الإقرار بوجودها بشكل أوسع، على هذه البلدان الثلاثة وحدها.

فعلى سبيل المثال، أُجري استطلاع رأي للأستراليين في أعقاب الاحتجاجات التي انطلقت بعد مقتل جورج فلويد،